Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أهل الريف فى «الوسايا» بدون أجر ولا ما يشبه الأجر. ولو أن الشربينى أفاض فى تصوير هذه الجوانب لكان كتابه طُرْفَةً تاريخية حقا، ومع ذلك فقد ألم بها إلماما وألمع إليها إلماعا، وإن كان لم يتسع فيها فإنه اتسع فى وصف النواحى الاجتماعية للناس فى عصره. وكتابه من أجل ذلك يعتبر وثيقةً هامَّةً فى تاريخ هذا العهد وتاريخ مصر فيه.

وقد قسم الشربينى شرحه «هز القحوف» إلى جزأين كبيرين: جزء خَصَّصَهُ بالتندر على أهل الريف وتصوير ما هم فيه من جهل وفقر، وجزء خَصَّصَهُ لشرح قصيدة أبى شادوف وبيان ما خَفِىَ من ألفاظها وغمض من معانيها. وإذا رجعنا نستعرض الجزء الأول وجدناه يقول فى مفتتحه إن أهل الريف "ليس لهم انضباطٌ، وأحوالهم شياط وعياط، ووِرْدُهم عند الأسحار، التفكرُ فى الغنم والأبقار، وتسبيحهم فى الظلام، هات النبوت والحزام، وحط العلف، وهات الكلف، قال الشاعر:

لا تسكن الأرياف إنْ رُمْتَ العُلا إن المذلّةَ فى القُرى ميراثُ
تسبيحُهم هاتِ العَلَفْ، حُطّ الكلف علق لثَوْرِك جَاءكَ المحْراثُ

الحق عندهم مضاع، والباطل عندهم مذاع". ويترك الشربينى ذلك إلى بيان أسماء أهل الريف وكناهم وألقابهم حتى يدل على قبح ذوقهم، وهو يطيل فى ذلك إطالة كبيرة. ثم يصف عرسا من أعراسهم ليتندر على أفعالهم، وليضع تحت عين القارئ جانبا من معيشتهم، وقد تظرف فروى عن بعض شعرائهم:

يا عروسه يا ام غالى إنجلى ولا تبالى
إنجلى يا وجه بومه زاعقه وسط الليالى
وجهك بالنقش يشبه وجه ضبعه فى الرمال

وينتقل الشربينى بعد ذلك إلى بيان ما كان عليه أهل الريف من غفلة وبله